﴿ تناهي الثراء ﴾

لقد الحّ هذا الثراء على بعض الناس الحاحاً شديداً حتى قضى على بعض الناس بالالحاح في الكلام عنه وذكر تأثيره في نفوس اصحابه فمنهم من تعمد ذكر الغنى مجرداً للدلالة عليه وعلى مقدار المدنية او الحرية التي اعانت على الوصول اليه ومنهم من تعمد ذكر تأثيره بالقياس الى مقداره لدى اصحابه ومبلغ انتفاعهم منه وطرق انفاقه وهو ما ذكرنا منه شيئاً ليس بالقليل في هذه المجلة ولا بأس من ذكره كلما عرض الحديث عنه لان الغنى حلو محبوب وهو المسك ما كررته يتضوع

ولقد تعرضت احدى الكاتبات الاميريكيات الى ذكر الغنى الفاحش فقالت عنه قولا حسناً تقصد به تعزية الفقير من جهة حتى لا يتوهمه كما يوهم ظاهره والدلالة على وقعه في نفوس اصحابه من جهة اخرى للعلم بانهم ليسوا كما يظن الناس بهم . ولقد كان في جملة حديثها عنهم قولها ان كثيرين من الناس يغبطون صاحب الملايين ويتمنون لو يكونون في مثل حالته ولكنها تعجب للفقير صاحب الصحة والعقل كيف يغبط غيره لكونه لا يملك الا المال مجرداً في حين هو بتجرده لاحرازه يتجرد من كثير غيره مما هو في الحقيقة ولدى الحسّ اجل من الغنى بكثير ثم وصفت صاحب الملايين فقالت ان ملايينه اشبه بسور ضخم معقود حواليه وقد سد عليه الوصول الى غرف السعادة المحيطة به حتى لا يهتدي منها بسبيل وعدا هذا فان صاحب الملايين قد دقت حواسه بملايينه جداً حتى اشتبهت لديه الحقائق

واختلطت بالاباطيل فهو لا يثق باحد ولو كان ثقةً ولا يصدق شيئاً ولو كان محسوسا معقولاً ثم هو يريد ان يكون محروساً من كل جانب من جوانبه وهذا مستحيل ولذلك لابد ان يكون له من جانب ضعيف يدرك ضعفه سواه فلا ينفك عن اذيته به حتى انه لو دله احد على هذا الجانب الضعيف لما صدقه بل انه يغضب كثيراً اذا دله عليه ولذلك فهو يتمادى بضعفه ويتمادى وقع الاذى عليه

ثم انه عديم الثقة باهل الملة ولو بلغوا ما بلغوا من الاخلاص وبرودة الصدر وذلك لافراط ظنونه بالسوء حتى لا عمدة له على احد فاذا جاءه المخلص الشفيق الذي يخلصه الود والنصيحة لا لشيء الا لانه طبع على الاخلاص فهو لا يصدقه بل يعتقد انه يحبه من اجل غناه وانه لو كان فقيراً لابتعد عنه وبذلك يبتعد عنه الشفيق ولا يحوم عليه الا اهل المطامع يمتصونه كالاسفنج من كل ناحية وهو فيما بينهم معذب مهموم واذا ابتعد عنهم وانآهم كان على عذاب اشد بل اي عذاب اشد من ان يكون الانسان بين كل الناس وهو كأنه ليس بين احد. ثم ان هؤلاء الناس الذين يحيطون به كما يحيط النحل بالزهر يجنيه من كل ناحية انما هم يفعلون ذلك وضمائرهم مستريحة لانهم يجدون ماله منهلا سائغاً ورزقاً حلالا وذلك لانه مفرط الغنى. واذا كان الغني المعتدل يعد فريسة محللة لكل صائد فماذا يكون الظن بالغني المفرط الذي جاءه المال على اكثر من مقدار عمره وقوته وعقله. ثم ان افراط الغنى مما يمني صاحبه بالجبن والضعف فتراه مع قوة غناه وهو ضعيف جداً عن مقاومة سواه والمدافعة عن كرامة نفسه لان الانسان وحده ضعيف وهو قد توحد لفرط ظنونه واتهامه فمن اين تجيئه القوة من

سواه . وانه من اجل هذا يقولون ان صاحب الملايين ليس له من ملايينه الا هي بعينها واما تأثيرها المظنون فلا تأثير له

على انه لا ينكر ان للغنى قوة هائلة ولكن تلك الملايين قد سدت على صاحبها مذاهبه حتى لم تعد له بملايينه قوة ولا له بها لذة ونعيم لان الانسان انما ينعم اولا بتمني الشيء ثم ينعم ثانياً بسعيه اليه وينعم ثالثاً بحصوله عليه واما صاحب الملايين فلا يتمنى لينعم ولا يسعى لينعم وانما هو يحصل على الشيء في ساعة ارادته وحينها وبذلك يمتنع عليه النعيمان الاولان حتى لا يمس من الثالث بشيء وعدا هذا فان تمني الشيء انما يحدث من صعوبته فلو امتنعت صعوبته لامتنع تمنيه ومتى كان الشيء غير صعب كان غير متمنى ومشتهى وبهذا تنتفي الارادة من هذا القبيل جملةً وهناك ضيق المذاهب وهناك عذاب النفس الشديد . ثم ان الناس اذا كانوا يقولون ان الذي تملكه اليد يزهد فيه الخاطر فانما يريدون انه لا لذة فيه مع امكانه . وانظر الى صاحب الملايين اي شيء لا يملكه واي شيء يكون نعيمه فيه بل ما اصدق قول التهامي في مثل هذه الحال

اهتز عند تمني وصلها طرباً ورب امنية احلى من الظفر

ويشير اليها البحتري ايضاً بقوله

ليس يحلو وجودك الشيء تبغيه التماساً حتى يعز طلابه

ولقد يقال ان الغني يأكل ويلبس ويشرب على موجب كل الذي يشتهيه وان ذلك سعادة ولكن الحقيقة انها ليست سعادة كما يظن لانه لا يستطيع ان يأكل كل يوم الف كبش وان يلبس الف طاق فوق طاق كما قال اليازجي بل هو يستطيع ان يكون ذا خدم وموائد كثيرة يأكلون عليها وينعمون

بها اكثر مما ينعم ولكن هذه الحالة موجودة شائعة وقد يحصل عليها الفقير بفرنكين كل يوم لانه يذهب الى المطعم الكبير الحاوي لعشرات المآت من الجالسين والقائمين والماشين فيأكل بينهم ويلهو بمختلف احاديثهم واشكالهم فيصير بذلك احسن من صاحب الملايين مع انه ليس الا صاحب فرنكين فقط فضلا عن انه يأكل اجود اكل صحي منتقد كل النقد ومصنوع بايدي امهر الطهاة

على ان صاحب الملايين يستطيع ان يوجد هذه الحالة بملايينه فيسر ولكن السرور اذا كان ناقصاً فهو غير سرور وهو اذا كان يستطيع ان يوجد كل هذا فاين يجد لذة الثقة بغيره وسرور الاعتماد على سواه ومحبة غيره له المحبة الخالصة وقد ضربت تلك الملايين بينه وبين كل ذلك سداً منيعاً. انه لا يستطيعه وقد فاته من حقيقة السرور قسط عظيم . بل انه لو فرض وتم له من كل ذلك كل ما يشتهي فان السرور المظنون انه يأتي على مقدار تلك الملايين لا يأتي منه شيء يذكر بالقياس اليها لان عقل الانسان واعصابه وكل مبلغ احتماله وطوقه انما هي اضعف جداً من ان تحتمل مسرة تلك الملايين وبذلك يكون افراطها داعياً الى عكس الحالة اذ يكون مستطيعاً تحمل كل اعبائها وما تجيء به من العذاب احياناً على مبلغ مقدارها لان للسرور حداً يقف عنده واما الغم فلا حد له الا الموت وهو احدى الراحتين

ثم ان الغني يستطيع ان يكون مسروراً بالعطاء والاحسان ومؤاساة الناس اذ هي مما يوجب حقيقة المسرة ولكن سروره هذا يكون دائماً منغصاً عليه لان نفسه تكون مناجية اياه بان الناس قد اسندوا بره الى

رغبته في حفظ كرامته او حفظ نفس ماله فيكون كانه عمل كثيرا ولم ينل مما عمل الا قليلا

وعلى الجملة فان الغني المفرط معذب دون ريب وهو على الغالب يعيش سقيما مهموماً جبانا لان الانسان بنفسه لا يعد شيئاً وهو مدني بالطبع كما يقولون ولذلك لا بد له من اعوان ولا بد للاعوان من الاخلاص المحض والمحبة الصادقة وهذا مستحيل مع الغنى ليس لانه لا يوجد بين الناس محبون مخلصون بل لان الغني نفسه كما قلنا لا يصدق احداً يحبه محبة اكيدة وبذلك يكون كانه ينفي المحبة الصادقة نفياً لان اولئك المخلصين يرتدّون الى مبغضين او مدلسين اذا كان لا بد لهم من التقرب اليه واظهار العطف عليه وانه اذا كان الانسان بلا اصدقاء يعد معذباً حقيقة وكانت الجنة لا تداس بلا ناس كما تقول العامة فان الغني المفرط معذب بلا شك ومن كان من القراء لا يصدق ذلك فليجرب .....